

كتاب الثقافة الجديدة [٦]

أغسطس ٢٠٠٤

١٢٦٢

هدية مجانية نوزع مع العدد [١٧٠]



قصص من تشيكوف

إبداع متجدد

ترجمة
د. أبوبكر يوسف

الهيئة العامة لقصور الثقافة

كتاب الثقافة الجديدة

(٦)

أغسطس ٢٠٠٤

قصص من تشيكوف

إبداع متجدد

ترجمة

د. أبو بكر يوسف

هدية مجانية توزع مع العدد (١٧٠)

كتاب الثقافة الجديدة

(٦)

أغسطس ٢٠٠٤

قصص من تشيكوف

(إبداع متجدد)

ترجمة

د. أبو بكر يوسف

• رقم الإيداع: ١٠٤٩٠ / ٢٠٠٤

• الطباعة والتنفيذ :

شركة الأمل للطباعة والنشر

ت: ٢٩٠٤٠٩٦

فرحة

كانت الساعة الثانية عشرة ليلا .
اندفع ميتيا كولداروف الى شقة والديه منفعلا منفوش
الشعر ، ومضى يروح ويجيئ بسرعة فى جميع الغرف .
وكان الوالدان قد أوبا الى الفراش . ووقدت اخته فى سريرها
تقرأ آخر صفحة فى الرواية . اما اخوته التلاميذ فكانوا
نائمين .

وقال والداه بدهشة :

— من اين جئت ؟ ماذا بك ؟
— أوه ، لا تسألا ! لم أتوقع ابدا ذلك ! كلا ،
لم أتوقعه ابدا ! انه . . انه غير معقول !
وقهقه ميتيا ، وجلس فى القوتيل وهو لا يقوى على
الوقوف من فرط السعادة .

— هذا غير معقول ! لا يمكن ان تتصوروا ! انظروا !
قفزت اخته من الفراش ، واسدلت على كفتيها البطانية
واقتربت من أخيها . واستيقظ التلاميذ .

— ماذا بك ؟ انك شاحب جدا !
— هذا من الفرحة يا ماما ! فالآن أصبحت روسيا
كلها تعرفنى ! كلها ! من قبل لم يكن احد غيركم

يعرف انه يوجد فى الدنيا المسجل الاعتبارى * ديمترى
كولدراوف ، اما الآن فروسيا كلها تعرف ذلك ! ماما !
يا الهى !

قفز ميتا ، وجرى فى غرف البيت ثم عاد الى مجلسه .
— ولكن ماذا حدث ؟ هلا أوضحت لنا !
— انكم تعيشون كالوحوش البرية ، لا تقرأون الصحف ،
ولا تهتمون ابدا بما ينشر ، بينما فى الجرائد اشياء رائعة !
فاذا حدث شىء يصبح معروفا على الفور ، ولا يخفى ابدا !
كم انا سعيد ! يا الهى ! الجرائد لا تكتب الا عن مشاهير
الناس فقط ، واذا بهم فجأة يكتبون عنى !
— ماذا تقول ! اين ؟

امتنع الأب . ونظرت الأم الى الايقونة ورسمت علامة
الصليب . وقفز التلاميذ فى قمصان النوم القصيرة فقط واقتربوا
من أخيهما الأكبر .

— نعم ! كتبوا عنى ! الآن تعرفنى روسيا كلها !
خبشى يا ماما هذا العدد واحتفظى به للذكرى ! سوف
نقرأه احيانا . انظروا !

وأخرج ميتا من جيبه عددا من جريدة وأعطاه لأبيه
وهو يدس اصبعه فى موضع محاط بخط قلم ازرق .
— اقرأ !

وارتدى الوالد النظارة .

* المسجل الاعتبارى رتبة من ادنى الرتب المدنية فى روسيا
القيصرية . المعرب .

— هيا اقرأ !

ونظرت الأم الى الايقونة ووسمت علامة الصليب .
وتنحج الأب وشرع يقرأ :

— وفى ٢٩ ديسمبر ، فى الساعة الحادية عشرة
مساء كان المسجل الاعتبارى ديمترى كولداروف . . .

— هل رأيتم ؟ هل رأيتم ؟ اكمل ! . .

— . . . كان المسجل الاعتبارى ديمترى كولداروف
خارجا من الحانة الواقعة فى شارع مالايا برونايا ، فى منزل
كوزيخين ، وهو فى حالة سكر . . .

— شريت مع سيميون بتروفتش . . . وصفوا حتى أدق
التفاصيل ! اكمل ! بعده ! اسمعوا ! . .

— وهو فى حالة سكر فزلت قدمه وسقط تحت حصان
حودى كان واقفا هنا ، ويدعى ايفان دروتوف من قرية
دوريكينيا بناحية يوخنوف . وذعر الحصان فخطا مسن
فوق كولداروف وسحب من فوقه الزحافة التى كان جالسا
فيها ستيان لوكوف التاجر من الدرجة الثانية بموسكو ، وانطلق
عبر الشارع وتمكن البوابون من الامساك به . ونقل كولداروف
الذى كان فاقد الوعي الى قسم الشرطة حيث اجرى له كشف
طبى . واتضح ان الضربة التى تلقاها فى مؤخرة رأسه . . .
— انها من اصطدامى بذراع الزحافة يا بابا . اكمل ،

اقرأ بعد ذلك !

— . . . التى تلقاها فى مؤخرة رأسه تعتبر من الضربات
الخفيفة . وقد تم تحرير محضر بالواقعة . واجرى للمصاب
اسعاف أولى . . .

— نصحونى بان أبلىل مؤخرة رأسى بالماء البارد .

حسنا ، هل رأيتم ؟ . هه ؟ هكذا ! الخير الآن يتشتر في
روسيا كلها ! هات الجريدة !

ونخطف ميتيا الجريدة وطواها ، ودسها في جيبه .
— سأسرع الى آل هكاروف لأريها لهم . . . ينبغي
ان أريها ايضا لآل ايفانيتسكى ، ولتاليا ايفانوفنا ، ولأنيسيم
فاسيليتش ! انا ذاهب ! وداعا !

وارتدى ميتيا العمة ذات الشريط المعقود وانطلق الى
الشارع متشيا فرحا .

١٨٨٣

المغفلة

منذ ايام دعوت الى غرفة مكتبى مربية اولادى يوليا
فاسيلفنا لكى أدفع لها حسابها .

قلت لها :

— اجلسى يا يوليا فاسيلفنا . هيا نتحاسب . انت
فى الغالب بحاجة الى النقود ، ولكنك خجولة الى درجة
انك لن تطلبيها بنفسك حسنا . . . لقد اتفقنا على ان
ادفع لك ثلاثين روبلا فى الشهر

— أربعين

— كلا ، ثلاثين . . هذا مسجل عندى . . كنت
دائما أدفع للمرييات ثلاثين روبلا . حسنا ، لقد عملت
لدينا شهرين

— شهرين وخمسة ايام

— شهرين بالضبط . . هكذا مسجل عندى . . اذن
تستحقين ستين روبلا نخصم منها تسعة ايام آحاد . .
فانت لم تعلمى كولا فى ايام الآحاد بل كنت تتترهين
معه فقط . . ثم ثلاثة ايام اعياد .

تضرج وجه يوليا فاسيلفنا ، وعبت اصابعها باهداب
القصتان ولكن . . لم تنبس بكلمة !

— نخضم ثلاثة اعياد ، اذن المجموع اثنا عشر روبلا . . وكان كولييا مريضا اربعة ايام ولم تكن دروس . . كنت تدرسين لقاريا فقط . . . وثلاثة ايام كانت اسنانك تؤلمك فسمحت لك زوجتى بعدم التدريس بعد الغداء . . اذن اثنا عشر زائد سبعة — تسعة عشر . . نخضم ، الباقي . . هم . . واحد واربعون روبلا . . مضبوط ؟
احمرت عين يوليا فاسيليفنا اليسرى وامتلأت بالدمع ، وارتعش ذقتها . وسعلت بعصية وتمخطلت ، ولكن . . لم تنبس بكلمة !

— قبيل رأس السنة كسرت فنجانا وطبقا . نخضم روبلين . . الفنجان أغلى من ذلك ، فهو موروث ، ولكن فليسامحك الله ! علينا العوض . . نعم ، وبسبب تقصيرك تسلق كولييا الشجرة ومزق سترته . . نخضم عشرة . . وبسبب تقصيرك ايضا سرت الخادمة من قاريا حذاء . ومن واجبك ان ترعى كل شيء ، فانت تتقاضين مرتبا . وهكذا نخضم ايضا خمسة . . . وفي ١٠ يناير اخذت منى عشرة روبلات .
فهمست يوليا فاسيليفنا :

— لم آخذ !

— ولكن ذلك مسجل عندي !

— طيب ، ليكن . .

— من واحد واربعين نخضم سبعة وعشرين . . الباقي اربعة عشر . . .

امتلات عيناها الاثنتان بالدموع . . . وطفرت حبات العرق على انفها الطويل الجميل . يا للفتاة المسكينة !
وقالت بصوت متهدج :

— أخذت مرة واحدة .. أخذت من حرمكم ثلاثة
روبلات .. لم آخذ غيرها ..

— حقا ؟ انظر ، وانا لم اسجل ذلك ! نخضم
من الاربعة عشر ثلاثة ، الباقي احد عشر .. ها هي نقودك
يا عزيزى ! ثلاثة .. ثلاثة .. ثلاثة .. واحد ، واحد ..
تفضلى !

ووددت لها احد عشر روبلا .. فتناولتها ووضعنها في
جيبها باصابع مرتعشة .. وهمت :
— * Merci .

فانتفضت واقفا واخذت أروح واجيء في الغرفة .
واستولى على الغضب .
سألها :

— merci على ماذا ؟
— على النقود . . .
— يا للشيطان ، ولكنى نهبتك ، سلبتك ! لقد
سرت منك ! فعلام تقولين merci ؟
— فى اماكن اخرى لم يعطونى شيئا . . .
— لم يعطوك ؟ ! ليس هذا غريبا ! لقد مزحت
معك ، لقتك درسا قاسيا .. سأعطيك نقودك ، الثمانين
روبلا كلها ! ها هي فى المظروف جهزتها لك ! ولكن
هل يمكن ان تكونى عاجزة الى هذه الدرجة ؟ لماذا لا
تحتجين ؟ لماذا تسكتين ؟ هل يمكن فى هذه الدنيا

• مرسى ، شكرا . العرب

الا تكونى حادة الانياب ؟ هل يمكن ان تكونى مفلة
الى هذه البرجة ؟
ابَسَمْتُ بعجز قُرأتُ على وجهها : ويمكن ! .
سألته الصفع عن هذا الدرس القاسى وسلمتها ،
لدهشتها البالغة ، الثمانين روبلا كلها . فشكرتني بخجل
وخرجت . . . وتطلعت فى اثرها وفكرت : ما أسهل ان
تكون قويا فى هذه الدنيا !

١٨٨٣

وفاة موظف

وفاة موظف

ذات مساء رائع كان ايفان ديمتريفيتش تشرفاكوف ،
الموظف الذى لا يقل روعة ، جالسا فى الصف الثانى من
مقاعد الصلاة ، يتطلع فى المنظار الى «اجراس كورنييل» .
وراح يتطلع وهو يشعر بنفسه فى قمة المتعة . وفجأة . . .
وكثيرا ما تقابلنا «وفجأة» هذه فى القصص . والكتاب على
حق ، فما احفل الحياة بالمفاجآت ! وفجأة تقلص وجهه ،
وزاغ بصره ، واحتبست انفاسه . . . وحول عينيه عن المنظار
وانحنى و أتش ! ! ! عطس كما ترون . والعطس
ليس محظورا على احد فى اى مكان . اذ يعطس الفلاحون ،
ورجال الشرطة ، بل وحتى احيانا المستشارون السريون .
الجميع يعطس . ولم يشعر تشرفاكوف باى حرج ، ومسح
أنفه بمنديله ، وكشخص مهذب نظر حوله ليرى ما اذا
كان قد ازعج احدا بعطسه . وعلى القبر احس بالحرج .
قد رأى العجوز الجالس امامه فى الصف الاول يسمح صلته
وقبته بقفازه بعناية ويدمدم بشيء ما . وعرف تشرفاكوف
فى شخص العجوز الجنرال برزجالوف الذى يعمل فى مصلحة
السكك الحديدية

وقال تشرفاكوف لنفسه : «لقد بللته . انه ليس رئيسى ،

بل غريب ، ومع ذلك فشيء محرج . ينبغي ان اعتذرو .
وتنتحج تشرفياكوف ومال بجسده الى الامام وهمس
في اذن الجنرال :

— عفوا يا صاحب السعادة ، لقد بلكتم . . . لم
اقصد . . .

— لا شيء ، لا شيء .
— استحلفكم بالله العفو . اننى . . . لم اكن اريد !
— اوه ، اسكت من فضلك ! دعنى اصنى !
واخرج تشرفياكوف فابتسم ببلادة ، وراح ينظر الى
المسرح . كان ينظر ولكنه لم يعد يحس بالمتعة . لقد
بدأ القلق يعذبه . واثناء الاستراحة اقترب من بريزجالوف
وتمشى قليلا بجواره ، وبعد ان تغلب على وجهه دمدم :
— لقد بلكتم يا صاحب السعادة . . . اعذرونى . . .
اننى لم اكن اقصد ان . . .
فقال الجنرال :

— اوه كفاك ! . انا قد نسيت وانت ما زلت تتحدث
عن نفس الامر !
وحرك شفته السفلى بنفاد صبر .

وقال تشرفياكوف لنفسه وهو يتطلع الى الجنرال بشك :
«يقول نسيت بينما الخبث يطل من عينيه . ولا يريد ان
يتحدث . ينبغي ان اوضح له اننى لم اكن ارغب على
الاطلاق . . . وان هذا قانون الطبيعة ، والا ظن اننى اردت
ان ابصق عليه . فاذا لم يظن الآن فيسظن فيما بعد ! . . .»
وعندما عاد تشرفياكوف الى المنزل روى لزوجته ما بدر
عنه من سوء تصرف . ونحى الى ان زوجته نظرت الى الامر

باستخفاف ، فقد جزعت ققط ، ولكنها اطمأنت عندما علمت ان بريزجالوف «غريب» .
وقالت :

— ومع ذلك اذهب اليه واعتذر . ولا ظن انك لا تعرف كيف تتصرف فى المجتمعات !
— تلك هى المسألة ! لقد اعتذرت له ، ولكنه ...
كان غريبا ... لم يقل كلمة مفهومة واحدة . ثم انه لم يكن هناك متسع للحديث .

وفى اليوم التالى ارتدى تشرفياكوف حلة جديدة ، وقص شعره ، وذهب الى بريزجالوف لتوضيح الامر . وعندما دخل غرفة استقبال الجنرال رأى هناك كثيرا من الزوار وراى بينهم الجنرال نفسه الذى بدأ يستقبل الزوار . وبعد ان سأل عدة اشخاص رفع عينه الى تشرفياكوف . فراح الموظف يشرح له :

— بالامس فى «اركاديا» لو تذكرت يا صاحب السعادة عطست و... بلكتم عن غير قصد . . اعذر . .
— يا للتفاهات . . الله يعلم ما هذا ! — وتوجه الجنرال الى الزائر التالى — ماذا تريدون ؟

وفكر تشرفياكوف بوجهه يشحب : «لا يريد ان يتحدث . اذن فهو غاضب . . . كلا ، لا يمكن ان ادع الامر هكذا . . سوف اشرح له . . .»

وبعد ان انتهى الجنرال حديثه مع آخر زائر واتجه الى الغرفة الداخلية ، خطا تشرفياكوف خلفه ودمدم :
— يا صاحب السعادة ! اذا كنت اتجاسر على ازعاج سعادتك فانا من واقع الاحساس بالندم ا . لم اكن

اقصد ، كما تعلمون سعادتكم !

فقال الجنرال وهو يخفى خلف الباب :

— انك تسخر يا سيدى الكريم !

وفكر تشرفياكوف : «اية سخرية يمكن ان تكون ؟

ليس هنا اية سخرية على الاطلاق ! جنرال ومع ذلك لا يستطيع ان يفهم ! اذا كان الامر كذلك فلن اعتذر بعد لهذا المتغطرس . ليذهب الى الشيطان ! سأكتب له رسالة ، ولكن لن آتى اليه . اقسم لن آتى !»

هكذا فكر تشرفياكوف وهو عائد الى المنزل . ولكنه لم يكتب للجنرال رسالة . فقد فكر وفكر ولم يستطع ان يدبج الرسالة . واضطر فى اليوم التالى الى الذهاب بنفسه لشرح الامر .

ودمدم عندما رفع اليه الجنرال عينين متسائلتين :

— جئت بالامس فأزعجتكم يا صاحب السعادة ،

لا لكى اسخر منكم كما تفضلتم سعادتكم فقلت . بل كنت اعتذر لانى عطست فبللتكم . . . ولكنه لم يدر بخاطرى ابدا ان اسخر . وهل اجر على السخرية ؟ فلو رحننا نسخر ، فلن يكون هناك احترام للشخصيات اذن . . .

وفجأة زار الجنرال وقد اريد وارتعد :

— اخرج من هنا ! !

فسأل تشرفياكوف هامسا وهو ينيب رعبا :

— ماذا ؟

فردد الجنرال ودق بقدمه :

— اخرج من هنا ! !

وتمزق شيء ما فى بطن تشرفياكوف . وتراجع الى

الباب وهو لا يرى ولا يسمع شيئاً ، وخرج الى الشارع وهو
يجر ساقيه . . . وعندما وصل آلياً الى المنزل استلقى على
الكنبة دون ان يخلع حلته ومات .

١٨٨٣

دموع لا يراها العالم

— آه يا سادة يا كرام لو تتمشى الآن . . .
قال القائد العسكري المقدم ريبوتيسوف ، وهو رجل
طويل نحيف كعمود البرق ، وكان خارجا من النادي مع
جماعة من أصحابه ذات ليلة مظلمة من شهر أغسطس .
ومضى يقول :

— فى المدن المحترمة ، مثل ساراتوف ، يمكنك
دائما أن تتمشى فى النادي ، أما هنا ، فى مدينتنا العفنة
تشرفيانسك ، فبخلاف القودكا والشاي بالذباب لا تحصل
على شىء . ليس هناك ما هو أسوأ من أن تشرب ولا تجد
ما تمر به !

— نعم ، لا بأس الآن بشىء ما ، هكذا يعنى . . . — أمّن
مفتش المعهد الدينى ايفان ايفانيتش دفوتوتشيف وهو يلتف
بمعطفه الأصفر اتقاء للريح — الساعة الآن الثانية ، والحانات
مغلقة ، آه لو يعنى فسيخة مملحة . . أو فطر مخلل . .
أو يعنى شىء ما هكذا . . .

وحرك المفتش أصابعه فى الهواء ، ووسم على وجهه
أكلة ، يبدو أنها شهية جدا ، لأن كل من نظروا الى وجهه
لعقوا شفاههم . وتوقفت الجماعة عن السير وأخذت تفكر .

وفكرت طويلا ، ولكن تفكيرها لم يفتق عن شيء يوكل . واضطرت الى الاكتفاء بالأحلام فقط .

وتنهذ نائب مأمور المركز بروجينا — بروجينسكى وقال :

— يا له من ديك رومى عظيم ذلك الذى أكلته بالأمس عند جولويسوف . . . بالمناسبة يا سادة ، ألم يزر أحد منكم وارسو ؟ هناك يفعلون هكذا . . . يأخذون سمك الشبوط العادى ، وهو حي . . . يتلوى ، ويلقون به فى اللبن . . . ويظل هذا الوغد يعوم فى اللبن يوما ، وبعد ذلك يغمره فى القشدة ويقلونه فى مقلاة تطشطش . . . وعند ذلك لا حاجة يا أخى لأناسك ! أى والله . . . خاصة اذا شربت كأسا أو كأسين . . . تأكل ولا تحس . كأنك فى غيبوبة . . . الرائحة وحدها تجنن ! . . .

فأردف ريبوتيسوف بنبرة مشاركة قلبية :

— فاذا اضفت اليه خيارا مملحا . . . عندما كنا معسكرين فى بولندا كان يحدث أن تحشر فى جوفك حوالى المائتين من البيلمينى مرة واحدة . . . تملأ بها طبقا كاملا ، وترش عليها القفل والشبت والبقدونس و . . . لا أستطيع ان أعبر لكم !

وتوقف ريبوتيسوف فجأة واستغرق فى التفكير . تذكر حساء السمك الذى أكله عام ١٨٥٦ فى دير الثلاث الأقدس . وكانت ذكرى هذا الحساء لذينة الى درجة ان القائد العسكرية شم فجأة رائحة السمك وحرك فكيه لا اراديا ولم يلحظ تسرب الوحل الى خف حذائه .

وقال :

— كلا ، لا أستطيع ، لا أستطيع أن أصبر أكثر !

سأذهب الى البيت وامتع نفسى . اسمعوا يا سادة ، فلتأتوا
معى ! أى والله ! لنشرب كأسا ، ونمز بما رزقنا به الله .
خيار ، مرتدلة . . ونشعل السمار . . هه ؟ لنمز ، ونتحدث
عن الكوليرا ، وتذكر ما مضى . . . زوجتى نائمة الآن ،
لن نوقظها . . سنجلس فى هدوء . . . هيا بنا !

ولا حاجة لوصف الاعجاب الذى قوبل به هذا العرض .
يكفى فقط أن أقول أنه لم يكن لدى ريبورتيسوف فى أى
وقت مضى مثل هذه الكثرة من الخيرين كما كان لديه
فى هذه الليلة .

— سأقطع أذنيك . . . — قال القائد العسكرى لجندى
المراسلة وهو يدخل بالضيوف الى غرفة الجلوس المظلمة —
قلت لك ألف مرة يا حيوان أن تشعل البخور عندما تنام فى
المدخل . اذهب يا غبي واشعل السمار ، وقل لاييرنا
أن تحضر الـ . . . أن تحضر من القبو خيارا وفجلا . . ونظف
بعض الفسيخ . . وقطّع بصلا أخضر ورش عليه شبتا هكذا . .
يعنى . . وقطع البطاطس دوائر . . والبنجر أيضا . . وكل هذا
صب عليه الخل والزيت ، يعنى ، والمسطردة أيضا . .
ورش الفلفل فوقه . . باختصار طبق مزة . . مفهوم ؟

وحرك ريبورتيسوف أصابعه مصورا الخلطة ، وأضاف
الى المزة بتعابير وجهه ما لم يستطع أن يضيفه بالكلمات . .
وخلع الضيوف أخفافهم ودلقوا الى القاعة المظلمة . وأشعل
صاحب البيت . عود ثقاب ففاحت رائحة الكبريت ، وأضاء
الجدران المزينة بهدايا مجلة «نيفا» ومناظر البندقية وضورتين
للكاتب لاجيتشنيكوف وجرنال ما بعينين مذهشتين للغاية .
— حالا ، حالا . . . — همس رب الدار وهو يوسع

المنضدة بهلوه . — ساعد المائدة ثم نجلس . . . ماشا زوجتى مريضة اليوم . . . ارجو المعذرة اذن . . . عندها مرض نسائي ما . . . الدكتور جوسين يقول ان ذلك بسبب أكل الصيام . . . جاتر جدا ! ولكنى أقول لها : «يا روجي ، ليست المسألة فى الأكل ! ليست المسألة فيما يدخل القم بل فيما يخرج من القم . . . فأنت تأكلين أكل الصيام ، ولكنك عصبية كما كنت . . . وبدلا من أن تتعبى جسدك ، الأفضل ألا تغضبى ، وألا تنفوى بكلمات . . . » ولكنها لا تريد حتى أن تسمع ! تقول : «لقد تعودنا على ذلك منذ الصغرة . ودخل جندي المراسلة ، ومد عنقه ، وأسر بشيء ما فى أذن رب الدار . . . ولعب ريبوتيسوف حاجبيه . . . ودمدم بصوت كالخوار :

— هم . . . نعم . . . هم . . . هكذا . . . عموما بسيطة . . . حالا سأعود . . . دقيقة واحدة . . . ماشا أوصدت القبو والخزائن فى وجه الخدم واخذت المفاتيح . . . ينبغي أن اذهب لاحضارها . . .

وصعد ريبوتيسوف على اطراف أصابعه ، وفتح الباب بهلوه ، ودخل على زوجته . . . كانت نائمة . وقال وهو يقترب بحذر من السرير :

— يا ماشا ! استيقظى دقيقة واحدة يا ماشا !

— من ؟ أهو أنت ؟ ماذا تريد ؟

— أنا يا ماشكا بخصوص الـ . . . اعطينى يا ملاكى

المفاتيح ولا تقلقى . . . نامى مطمئنة . . . أنا سأهتم بهم . . . سأعطى كلا منهم خيارا ، ولن أبدد أكثر من ذلك شيئا . . . اقسم لك . . . هناك دفويتوتشيف ، اتلرين ، وبروجينا —

بروجينسكى وآخرون . . . كلهم أشخاص رائعون . . . محترمون
فى المجتمع . . . أتدريين بروجينسكى يحمل وسام فلاديمير
من الطبقة الرابعة . . . أوه ، كم يحترمك . . .

— أين سكرت الى هذا الحد ؟

— ها أنت تغضبين . . . يا سلام عليك . . . سأعطى
كلا منهم خياره ، وهذا كل شيء . . . وسينصرفون . . . أنا
سأهتم بهم ولن نزعجك ابدا . . . نامى يا لبتى . . . هه ،
وكيف صحتك ؟ هل جاء جوسين فى غيابى ؟ انظرى ،
ها انذا أقبل يلك . . . والضيوف كلهم ، كم يحترمونك . .
دفيوتوتشيف رجل متدين ، أتدريين . . . وبروجينا ، والصراف
أيضا . . . كلهم يكونون لك أطيب المشاعر . . . يقولون :
«ماريا بتروفا ليست امرأة بل شيء عسير على الفهم . . .
انها كوكب اقليمنا» .

— ارقد ! كفك هذا ! يسكر هناك فى النادى مع
صعاليكه ثم يروح يغلى طول الليل ! الا نخجل ! عندك
أولاد !

— أنا . . . عندى أولاد ، ولكن أرجوك الا تغضبى
يا ماشا . . . لا تحزنى . . . اننى اقدرك وأحبك . . . والأولاد
ان شاء الله سادبر أمورهم . ميتيا سأدخله المدرسة . . . لا
استطيع أن اطردهم . . . لا يلبق . . . جاءوا ورائى وطلبوا
أن يتشوا . قالوا : «نريد أن نأكل ، اطعمنا» . . . دفيوتوتشيف
وبروجينا — بروجينسكى . . . ناس ظرفاء جدا . . . كم يقدرونك
ويعطفون عليك . . . فلنعط كلا منهم خياره ، وكأسا ، ولیمضوا
فى سيلهم . . . : أنا سأتكفل بهم . . .

— اللعنة ! ماذا ، هل جنت ؟ أى ضيوف فى

هذه الساعة ؟ الا ينجلون ، هؤلاء الشياطين المتسولون ،
يزعجون الناس فى الليالى ! من سمع بضيوف يأتون فى
الليل ؟ هل يظنون بيتنا حانة ؟ سأكون حمقاء لو أعطيتك
المفاتيح ! فليفتقوا وليعودوا غدا !

— هم . . . هلا قلت هذا من البداية . . . اذن لما
تذلت أمامك . . . اذن فأنت لست بشريكة العمر ، لست
سلوى زوجك كما جاء فى الكتاب ، بل . . . من العيب
أن أقول . . . كنت أغنى وظللت أغنى . . .

— آه . . . وتشم أيضا يا وغد ؟
ونهبست الزوجة و . . . حك القائد العسكرى خده ،
ومضى يقول :

— ميرسى . . . صحيح ما قرأته فى إحدى المجلات :
« بين الناس قديس ، ومع زوجها إبليس » .. عين الحقيقة ..
كنت إبليس ، وظللت إبليس . . .
— خذ ، خذ !

— اضربى ، اضربى .. اضربى زوجك الوحيد !
ولكنى أرجوك ، أتوسل اليك . . . يا ماشا . . . سامحنى !
اعطينى المفاتيح ! ماشا ، يا ملاكى ! يا معذبى الشريرة ،
لا تفضحنى أمام الناس ! ايتها المتوحشة ، الى متى
ستعذبتينى ؟ اضربى .. اضربى .. أرجوك . . . بل أتوسل
اليك !

واستمر حديث الزوجين بهذه الصورة طويلا . . . رجع
ريروتيسوف على ركبته ، وبكى مرتين ، وسب وهو يحك
خده بين الحين والحين . . . وانتهى الأمر بأن نهضت زوجته
وبصقت وقالت :

— يبدو لن تكون نهاية لعذابي ! اعطني فستاني
من على المقعد أريها الكافر !

وقدم لها روبرتوسوف الفستان بحرص ، وسوى شعره ،
وذهب الى ضيوفه . كان الضيوف واقفين امام صورة الجنرال
يتطلعون الى عينيّه المندھشتين وهم يقررون مسألة : من
الاكبر ، الجنرال أم الكاتب لاجيتشنيكوف ؟ وكان دفويتشيف
في صف لاجيتشنيكوف ، مشددا على الخلود . أما بروجينسكى
فقد قال :

— بالطبع هو كاتب جيد ، لا شك في هذا . . .
ويكتب فيثير الضحك والشفقة ، ولكن لو ارسلته الى الجبهة
فلن يستطيع قيادة حتى سرية ، أما الجنرال فلتعطه ولو
فيلقا كانلا ، لن يهमे . . .

وقال رب الدار وهو يدخل مقاطعا :

— زوجنى ماشا ستأتى الآن . . . حالا . . .

— لقد ازعجناكم حقا . . . يا فيودور اكيमितش ،
ماذا حدث لخدك ؟ يا إلهى ، وتحت عينك كلمة !
أين حصلت على هذا ؟

فقال رب الدار مخرجا :

— خدى ؟ أين خدى ؟ آه ، نعم . . . لقد ذهبت
الآن الى ماشا متسللا ، اردت أن أخيفها ، واذا بى
اصطدم فى الظلام بالسريـر ! ها—ها . . . ها هى ماشا . .
أوه كم أنت مشعثة يا عزيزتى ! مثل لوزا ميشيل تماما !
دخلت ماريا بتروفا الى القاعة ، مشعثة الشعر ، نعسانة ،
ولكنها متهاللة ومرحة . وقالت :

— هذا لطيف منكم اذ جئتم اليـنا ! اذا كنتم لا

تأتون إلينا فى النهار فشكرا لزوجى الذى جاء بكم ولو ليلا .
كنت نائمة ، واذا بى أسمع اصواتا . . فقلت لنفسى :
ويا ترى من هؤلاء ؟ . . . لقد أمرنى قيديا ان ارقد والا
اخرج ، ولكنى لم أطق . . .

وهزلت الزوجة الى المطبخ ، وبدأ العشاء . . .
وعندما خرجوا بعد ساعة من دار القائد السكرى قال
بروجينا — بروجينسكى وهو يتهدد :

— ما أطيب أن تكون مترجما ! تأكل عندما تريد ،
وتشرب وقتما تشاء . . . وتعلم ان هناك مخلوقا يحبك . . .
ويلعب لك على البيانو شيئا ما ، هكذا . . . ما أسعد
ريبروتيسوف !

اما دفوتوتشيف فلزم الصمت . كان يتهدد ويفكر .
وعندما وصل الى البيت وراح يخلع ملابسه ، تنهد بصوت
عال حتى أنه أيقظ زوجته .

— لا تدق بعذائك ايها الرحى ! — قالت زوجته . —
تمنعنى من النوم . يشرب حتى السكر فى النادى ثم يثير
الضجة ، هذا المسخ !

فتهدد المفتش قائلا :

— لا تعرفين سوى السباب ! لو انك رأيت كيف
يعيش آل ريبروتيسوف ! ما أروع حياتهم ! عندما ينظر
المرء اليهم يود لو ييكى من التأثير . أنا وحدى التبعيس اذ
بليت بشمطاء مثلك . افسحى !

وتغطى المفتش بالبطانية ، ونام وهو يشكو فى سره
حفظه البائس .

الحرباء

عبر ميدان السوق يسير مفتش الشرطة اتشوميلوف فى معطف جديد ويحمل فى يده لفاقة . ومن خلفه يسير شرطى احمر الشعر ومعه غربال مملوء لحافته بشار عنب الثعلب المصادرة . والسكون مخيم . . . ولا احد فى السوق . . . وتطل ابواب المتاجر والحانات المفتوحة على العالم بنظرة كابية كالاشداق الجائعة . ولا يوجد بجوارها حتى الشحاذون . وفجأة يسمع اتشوميلوف صوتا يقول :

— آه ، اذن فأنت تعض ايها الملعون . . امسكه يا أولاد ! العض الآن ممنوع ! امسك ! . . آه ! . .

ويتردد عويل كلب . ويلتفت اتشوميلوف فيرى كلبا يركض من مخزن الحطب التابع للتاجر بتشرجين وهو يقفز على ثلاث ارجل ويلتفت . ويطارده شخص فى قميص من الشيت المنشى وصديرى مفتوح . يركض وراء الكلب ثم يسقط على الارض مادا جذعه الى الامام ويقبض على ساقى الكلب الخلفيتين . ويتردد من جديد عويل الكلب وصيحة : «امسكه» . وتطل من المتاجر سحن ناعسة ، وسرعان ما يتجمع الناس بالقرب من مخزن الحطب وكأن الارض انشقت عنهم .

ويقول الشرطى :

— يبدو هنا اضطراب يا صاحب المعالى !
يستدير اتشوميلوف نصف دوة الى اليسار متجها الى
الجمع . ويرى بجوار بوابة المخزن مباشرة الشخص المذكور
فى الصديرى المفتوح وهو يرفع يده اليمنى ليرى الجمع
اصبعه المدماة . وكأنما كتب على سحته الثملة : «سوف
اربك ابها الملعون» ، واصبعه نفسها تشبه علامة النصر .
ويتعرف اتشوميلوف فى هذا الرجل على الصانع خريوكين .
وفى وسط الجمع يجلس المتسبب فى هذه الضجة — جرو
صيد ابيض ذو انف حاد وبقة صفراء على ظهره ، ماذا
ساقبه الاماميتين ، وحسده كله يرتعش . وفى عينيه الدامعتين
نظرة حزن ورعب .

وسأل اتشوميلوف وهو يقتحم الحشد :

— بأية مناسبة انتم هنا ؟ لماذا هنا ؟ وانت لماذا
اصبعك ؟ . . من الذى صاح ؟
ويشرح خريوكين فى الكلام وهو يتنحج فسى
قبضته :

— كنت سائرا يا صاحب المعالى لا امس احدا . .
بخصوص الحطب مع ميثرى ميثريتش . . . وفجأة اذا بهذا
الوغد ، ودون اى سبب ينهش اصبعى . . . ارجو المعذرة ،
فانا رجل ، يعنى ، من العاملين . . . وعملى دقيق . . .
فليدفعوا لى ، لانى ربما لا استطيع ان احرك هذه الاصبع
اسبوعا . . . ولا يوجد فى القانون يا صاحب المعالى ما ينص
على ان يتحمل الانسان هذه المخلوقات . . . فلو ان كل

واحد أخذ بعض ، فالأفضل الا يعيش الانسان على ظهر الارض

فيقول اتشوميلوف بصرامة وهو يعمل وبحـرك حاجيه :

— هم ! حسنا . . . حسنا . . . كلب من هذا ؟
انا لن ادع ذلك هكذا ! سأريكم كيف تطلقون كلابكم !
آن أن نتبه الى اولئك السادة الذين لا يريدون ان يمثلوا
للقوانين ! عندما يدفع الغرامة هذا الوغد سيعرف ما معنى
الكلاب وغيرها من اللواب الضالة ! سأريه العفاريث الزرق ! —
ويخاطب الشرطي — يلديرين ، اعرف كلب من هذا واكتب
محضرًا ! اما الكلب فينبغي اعدامه . فورا ! لا بد أنه
مسرور . . . اننى اسألکم كلب من هذا ؟

ويقول شخص من الجمع :

— يبدو انه كلب الجنرال جيجالوف !

— الجنرال جيجالوف ؟ هم ! انزع عنى المعطف
يا يلديرين . . . اف ، يا للحر ! يبدو ان المطر سيسقط . . .
شيء واحد لا افهمه ، كيف استطاع ان يعضك — يقول
مخاطبا تخريوكين — امن المعقول انه يطال اصبعك ؟ انه
صغير اما انت فانظر ما طولك ! يبدو انك جرحت اصبعك
بسمار ، وخطرت لك فكرة ان تحصل على تعويض . . .
انتم هكذا . . . اعرفكم ايها الشياطين !

— يا صاحب المعالى ، كان يلسمه بالسيجارة فى
وجهه ليضحك عليه ، فلم يكذب الكلب خبرا
وعضه . . . انه شخص مشاكس يا صاحب
المعالى !

— كذاب يا أحول ! انت لم تر شيئا فلماذا تكذب ؟
ان معاليه سيد ذكى ويعرف من الكذاب ومن الشريف النقى
الضمير امام الله . . . واذا كنت اكذب فليحكم القاضى . . .
فلديه مكتوب فى القوانين . . . الجميع الآن سواسية . . .
وانا لى اخ فى الدرك ، اذا اردت ان تعلم . . .
— ممنوع الكلام !

ويقول الشرطى بنبوة تأمل عميق :
— كلا ، هذا ليس كلب الجنرال . ليس لدى
الجنرال كلاب كهذه . . . كلابه اكثرها سلوكية . . .
— هل انت متأكد ؟
— متأكد يا صاحب المعالى . . .

— انا نفسى اعرف ذلك . كلاب الجنرال غالية ،
أصيلة ، اما هذا . . . فالشيطان يعلم ما هو ! لا شعر
ولا هيئة . . . مجرد حقارة لا غير . أهذا كلب يقتنى ؟ !
اين عقولكم ؟ لو ان كلبا كهذا ظهر فى بطرسبرج او
موسكو ، اتعلمون ماذا كان يحدث ؟ ما كان احد ليلفت
الى القانون ، بل على القور ولا كلمة ! هس ! انت يا
خريوكين قد تضررت ولا تدع الامر يمر هكذا . . . ينبغي
ان تؤدبهم . . . آن الاوان !

ويقول الشرطى وهو يفكر بصوت مسموع :
— وربما كان كلب الجنرال . . . فليس مكتوبا
على سحته . . . رأيت من مدة كلبا مثله فى فناء
منزله .

ويقول صوت من الحشد :
— واضح ، كلب الجنرال !

— هم ! البسنى المعطف يا يلديرين . . . يسدو ان
النسيم يهب . . لقد بردت . . . احمله الى الجنرال واسأل
هناك . قل لهم اننى وجدته وارسلته . . . وقل لهم ايضا
الا يخرجوه الى الشارع . . . فهو كلب ربما غال ، واذا
اخذ كل خنزير يلسعه بالسيجارة فى وجهه فمن السهل اتلافه . .
الكلب حيوان مهم . . . وانت ايها الغبى انزل ذراعك !
كفاك ابرازا لاصبعك الحمقاء ! انت المذنب ! . .
— ها هو طبياخ الجنرال قادم ، فلنساله . . . إى ،
يا بروخور . . . تعال هنا يا عزيزى . . . انظر الى هذا الكلب . . .
اهو كليككم ؟

— يا سلام ! لم يكن لدينا ابدا كلاب مثله !
فيقول اتشوميلوف :
— ليس هناك داع للسؤال . . هذا كلب ضال !
لا داع للكلام الكثير . . . اذا قلت انه ضال فهو ضال . . .
ينبغى اعدامه وكفى .
واستطرد الطباخ :

— ليس كلبنا ، انه كلب شقيق الجنرال الذى وصل
من مدة . جنرالنا لا يحب كلاب الصيد . اما اخوه فيحبها .
وسأل اتشوميلوف ويفيض وجهه بابتسامة تأثر :
— احقا وصل شقيق الجنرال ؟ فلاديمير ايضا نش ؟
آه يا ربى ! وانا لا اعلم ! هل جاء للزيارة ؟
— للزيارة . . .

— آه يا ربى . . . اوحشه شقيقه . . . وانا لا اعلم ؟
اذن فهذا كلبه ؟ سعيد جدا . . . خذ . . . ياله من كلب !
شقى . . . هبش هذا من اصبعه . . . ها—ها—ها . . .

مالك ترتعش ؟ .. اوه انه غاضب هذا الماكر . . . يالك
من صغير . . .

ويلعو بروتخير الكلب ويمضى معه مبتعدا عن مخزن
الحطب . . . ويقهقه الجمع سخرية بخريوكين .
ويقول له اتشوميلوف متوعدا :

— مهلا ، سوف افرغ لك !
ويمضى فى طريقه عبر ميدان السوق متدثرا بالمعطف .

١٨٨٤

القناع

اقيم فى نادى «س» الاجتماعى حفل تنكرى لغرض
خيرى .

كانت الساعة الثانية عشرة ليلا . وجلس المثقفون غير
الراقصين—وكانوا خمسة— فى قاعة المطالعة الى طاولة
كبيرة ودسوا انوفهم ولحاهم فى الجرائد وراحوا يقرأون وينعسون ،
و«يفكرون» على حد تعبير المراسل المحلى لجرائد العاصمة ،
وهو سيد لييرالى جدا .

وتناهت من الصالة العامة انغام رقصة «فيوشكى» .
ومن حين لآخر كان الخدم يهرولون بجوار الباب وهم يدقون
عاليا باقدامهم ويشيرون رنين الاوانى . بينما كان الصمت
العميق يسود قاعة المطالعة .

وفجأة تردد صوت غليظ مكتوم بدا وكأنه صادر من
المدفأة .

— يبدو ان المكان هنا سيكون مناسباً . تعالوا هنا
يا أولاد ! تعالوا ، تعالوا !

وفتح الباب ، ودخل قاعة المطالعة رجل عريض ،
ربعة ، يرتدى حلة حوذى وقبعة بريش طاووس وقناعا .
وتبعته سيدتان مقنعتان وخادم يحمل صينية . وكان على

الصينية زجاجة ليكير منعجة وثلاث زجاجات نبيذ احمر
وبضعة اكواب .

وقال الرجل :

— تعالوا ! الجو هنا ابرد . . . ضع الصينية على
الطاولة . . . اجلسن يا موزمزيلات ! جى فو برى ، اما
انتم يا سادة فلتفسحوا . . . هيا من هنا !

وتمايل الرجل وازاح يده عدة مجلات من على الطاولة .
— ضع هنا ! اما انتم ايها السادة القراء . فلتفسحوا .
لا وقت هنا لقراءة الجرائد والسياسة . . . دعوا عنكم هذا !
فقال احد المثقفين وهو ينظر الى صاحب القناع من
خلال نظارته :

— الزم الهدوء من فضلك . هذه قاعة مطالعة وليس
بوفيه . . . ليس هذا مكانا للشرب .

— ولماذا ليس مكانا ؟ هل الطاولة تأرجح ام ربما
السقف يتساقط ؟ شيء عجيب ! حسنا . . . لا وقت عندى
للحديث ! اتركوا الجرائد . . . يكفيكم ما قرأتم . . . انتم
هكذا اذكياء أكثر من اللازم ، كما انكم ت تلفون ابصاركم .
واهم ما فى الامر اننى لا اريد . انتهينا .

وضع الخادم الصينية على الطاولة ، وطوى القوطة على
ذراعه ووقف بجوار الباب . وشرعت السيدتان فورا فى تناول
النبيذ الاحمر .

* جى فو برى (Je vous pris) — ارجوكم ، من فضلكم
(بالفرنسية) . المعرب .

وقال الرجل ذو ريش الطاووس وهو يصب لنفسه ليكيرا :
— كيف يوجد اناس اذكاء يعتبرون الجرائد افضل
من هذه المشروبات . اما انا فأرى ايها السادة المحترمون
انكم تحبون الجرائد لانكم لا تملكون ما تشربون به ،
ليس كذلك ؟ ها—ها . . . انهم يقرأون ! حسنا وما
هو المكتوب هناك ؟ ايها السيد ذو النظارة ، اية وقائع تقرأ ؟
ها—ها ! دعك من ذلك ! كفك تمنعا . اشرب افضل .
ونهض الرجل ذو ريش الطاووس وانترع الجريدة من
يدي السيد ذي النظارة ، فامتقع هذا ، ثم تضرع ونظر
بدهشة الى بقية المتقفين ، ونظر هؤلاء اليه .
وانفجر قائلا :

— انك تتجاوز حدودك يا سيدى المحترم . انك
تحول قاعة المطالعة الى حانة . . . انك تسمح لنفسك بالعريضة
واختطاف الجرائد من الايدي ! لن اسمح لك ! انت
لا تعرف مع من تتحدث يا حضرة المحترم ! انا جيستياكوف ،
مدير البنك !

— طظ ، فلتكن جيستياكوف ! اما جريدتك فيها
هى قيمتها . . .

ورفع الرجل الجريدة ومزقها قطعا .
ودمدم جيستياكوف مصعوقا :
— ما هذا يا سادة ؟ هذا شيء غريب . . . هذا . . .
هذا غير معقول . . .

فضحك الرجل قائلا :
— سيادته زعلان ! آى ، آى ، اخفتنى ! اقدمى
ترعش ، اسمعوا ايها السادة المحترمون ! كفى مزاحا . . .

انا لا ارجب فى الحديث معكم . . ولما كنت اريد ان ابقى هنا مع المزموزيلات على افراد واريد ان امتع نفسى ، لذلك ارجوكم . الا تحزنوا وتخرجوا . . . تفضلوا من هنا ! يا سيد يلبونخين اخرج من هنا فى ألف داهية ! ما لك تقلب سحتك ؟ اقول لك اخرج يعنى تخرج ! هيا عجل والا اهويت على قفاك !

فتساءل يلبونخين صراف المحكمة وهو يحمر ويهز كتفيه :
— كيف ! ما معنى هذا ؟ ! انا حتى لا افهم . . .
شخص وقع يقتحم علينا المكان . . . وفجأة يتقوه بهذه الاشياء !

فصاح الرجل ذو ريش الطاووس غاضبا ، ودق بقبضته على المائدة حتى تراقصت الاكواب على الصينية :
— ماذا تقول ؟ وقع ؟ لمن تقولها ؟ اتظن اننى ما دمت فى القناع فبوسعك ان توجه لى مختلف الكلمات ؟
بالك من مشاغب ! اخرج من هنا اقول لك ! يا مدير البنك ، انكشخ من هنا بالمعروف ! اخرجوا جميعا . اياكم ان يبقى منكم لثيم هنا ! غوروا فى الف داهية !
فقال جيستياكوف الذى غامت نظارته من شدة الانفعال :
— حسنا ، سنرى الآن ! سأريك ! ايه ، استدع

الشاويش المناوب !
وبعد دقيقة دخل شاويش صغير احمر الشعر بشريط ازرق على ياقة سترته وهو يلهث من الرقص ، وقال :
— تفضلوا بالخروج . ليس هذا مكانا للشرب !
تفضلوا فى البوفيه !
وسأل الرجل ذو القناع :

— من اين جئت انت ؟ هل انا دعوتك ؟
— ارجو ان تخاطبني باحترام ، وتفضل بالخروج !
— اسمع يا عزيزي . . . سامهلك دقيقة . . . وطالما
انت شاورش وشخصية مهمة ، فلتسحب هؤلاء الممثلين
من ايديهم : مزموزيلاتي لا يعجبهن وجود غرباء هنا . . .
يشعرن بالخجل ، وانا اريد مقابل نقودي ان يكن في حالتهن
الطبيعية .

وصاح جيستياكوف :

— يبدو ان هذا المأفون لا يفهم انه ليس في حظيرة .
استدعوا يفسترات سيريدونتش !
وترددت في النادي :

— يفسترات سيريدونتش ! اين يفسترات سيريدونتش ؟
وسرعان ما ظهر يفسترات سيريدونتش ، وهو عجز
يرتدى حلة شرطى . وصاح بصوت مبجوح وهو يخلق بعينه
المرعبتين ويحرك شواربه المصبوغة :

— تفضل بالخروج من هنا !

فقال الرجل وهو يفقهه من المتعة :

— آه ، لقد اربعبتى ! اى والله اربعبتى ! اقسم
لكم اننى لم أر شيئا رهيا كهذا ! شواربه كشوارب القط ،
وعيناه جاحظتان . . . ها—ها—ها ! ها—ها—ها !
فصاح يفسترات سيريدونتش بكل قوته واهتر بدنه :
— ممنوع الكلام ! اخرج من هنا ! سامر بطردك !
وارتفع في قاعة المطالعة صخب لا مثيل له . كان
يفسترات سيريدونتش يصرخ ويدق بقلميه وقد احمر كسرطان
البحر . وكان جيستياكوف يصرخ . وكان يليلونخين يصرخ . كان

جميع المثقفين يصرخون ، ولكن غطى على اصواتهم جميعا صوت الرجل ذى القناع ، الغليظ الاجش . وبسبب الهرج العام توقف الرقص ، وتقاطر الناس من الصالة الى قاعة المطالعة . ولكى يظهر يفسترات سيريدوتش هيئته استدعى جميع رجال الشرطة الموجودين فى النادى ، وجلس ليكتب محضرا . فقال ذو القناع وهو بدس اصبعه تحت القلم :

— اكتب ، اكتب . يالى من مسكين ، ترى ماذا سيحدث لى الآن ؟ يالحظى البائس ! حرام عليكم ما تفعلونه بيتيم مثلى ! ها—ها—ها ! حسنا ، ماذا ؟ هل محضرك جاهز ؟ هل وقع الجميع ؟ فلتنتظروا الآن اذن ! .. واحد . . . اثنان . . . ثلاثة ! ..

ونهض الرجل ومد قامته بطولها ونزع القناع عن وجهه . وبعد ان كشف وجهه الثمل وطاف بنظره على الجميع مستمتعا بما احده من تأثير ، تهاوى على الكرسى وقهقهه بفرح . وبالفعل كان التأثير الذى احده غير عادى . تبادل المثقفون النظرات فى ارتباك وامتعنت وجوههم ، وحك بعضهم قفاه . وتحشرج يفسترات سيريدوتش كالشخص الذى ارتكب عفوا حماقة كبيرة .

لقد عرف الجميع فى هذا الرجل الهائج المليونير المحلى صاحب المصانع والمواطن العريق المحترم بيتيجوروف ، المعروف بفضائحه وبأعماله الخيرية ، وكما ذكرت الجريدة المحلية غير مرة ، بحبه للمعرفة .

وبعد دقيقة من الصمت سأل بيتيجوروف :

— حسنا هل ستصرفون ام لا ؟

وخرج المثقفون من غرفة المطالعة على اطراف اصابعهم

فى صمت ، دون ان يفوهوا بكلمة ، فأوصد بيتيجوروف الباب خلفهم .

وبعد دقيقة كان يفسترات سبيريلوتش يفح هامسا وهو يهز كتف الخادم الذى حمل الخمر الى قاعة المطالعة :
— لقد كنت تعلم انه بيتيجوروف ، لماذا سكت ؟
— امرنى الا اقول !

— امره الا يقول . . . سأسجنك ايها الملعون شهرا وعندئذ ستعرف ما معنى «امرنى الا اقول» ، اخرج ! . . .
وقال مخاطبا المثقفين — وانتم ايضا يا سادة ما احلاكم . . . اعلنوا العصيان ! لم يكن فى استطاعتكم ان تخرجوا من قاعة المطالعة لعشر دقائق ! حسنا ، تحملوا اذن مسئولية ما صنعتم ! آه يا سادة ، يا سادة . . . غير سليم . . .
وسار المثقفون فى النادى مقهورين ، ضائعين ، مذنبين يتهامسون ويتوقعون شرا . . . وعندما عرفت زوجاتهم وبناتهم بالحدث اخلدن الى السكون وتفرقن عائذات الى بيوتهن .
وتوقف الرقص .

وفى الساعة الثانية خرج بيتيجوروف من قاعة المطالعة ؛ كان ثملا يترنح . وعندما دخل الصالة جلس بقرب الاوركسترا ونعس على انغام الموسيقى . ثم امال رأسه بحزن وعلا شخيره .
واشاح الشاوشية بايديهم للعازفين :

— لا تعزفوا ! هس ! . . . يجور نيليتش نائم .
وسأل بيليوخين وهو ينحنى على اذن المليونير :
— هل تأمرون بتوصيلكم الى البيت يا يجور نيليتش ؟
وندت عن شفتى بيتيجوروف حركة وكأنه يريد ان ينفخ ذبابة عن خده .

وعاد بيليونجين يسأل :
— هل تأمرون بتوصيلكم الى البيت ؟ ام باستدعاء
العربة ؟

— هه ؟ من ؟ انت . . . ماذا تريد ؟
— اريد ان اوصلكم . . . حان وقت النوم . . .
— اريد ان اذهب . . . اوصلنى !
وتهلل بيليونجين من الرضا وشرع ينهض بيتيجوروف .
واسرع اليه بقية المثقفين ، وأنهضوا المواطن الاصيل المحترم
وهم يتسمون بسرور .، وساروا به بحذر الى العربة .
وقال جيستياكوف بمرح وهو يجلسه :

— لا يستطيع ان يضحك على جماعة كاملة الا
مثل موهوب . انا مأخوذ حقا يا يجور نيليتش ! حتى
الآن ما زلت اضحك . . . ها—ها . . . كنا نغلى ونتلمظ !
ها—ها ! هل تصدقون ؟ لم اضحك ابدا فى المسرح
مثلما ضحكتم اليوم . فكاهة بلا حدود ! سأظل طول
عمرى اذكر هذه الامسية التى لا تنسى !
وبعد أن أوصل المثقفون بيتيجوروف عاودهم المرح
والاطمئنان .

وقال جيستياكوف وهو سعيد جدا :
— لقد مد لى يده عند الوداع . اذن فليس غاضبا .
فتنهذ يفسرات سبيريدونتش :
— يسمع منك ربنا ! انه رجل وغد ، حقير ،
ولكنه محسن ! . . لا يصح ! . .

١٨٨٤

مع سبق الإصرار

أمام المحقق يقف فلاح صغير ، نحيف للغاية ،
فى قميص مقلم وسروال مرقع . ويبدو على وجهه الذى غطاه
الشعر وأكله الشمس ، وعينه اللتين لا تكادان تظهران من
تحت حاجبيه الكثيفين المتهدلين ، تعبير صرامة عابسة .
وعلى رأسه كومة من الشعر الملبد الذى لم يمشط منذ زمن
طويل ، مما يضىء عليه مزيدا من الصرامة العنكبوتية .
وهو حافى القدمين .
ويبدأ المحقق :

— دينيس جريجوريف ! اقترب وأجب على أسئلتى .
فى السابع من يوليو الجارى كان حارس السكة الحديدية
ايفان سيميونوف أكينفوف يقوم بالتفتيش صباحا على الخط ،
فوجدك عند الكيلو ١٤١ متلبسا بفك صامولة من الصواميل
التي تثبت بها القضبان على الفلنكات . وها هى الصامولة !
وقد قبض عليك ومعك هذه الصامولة . هل هذا هو ما
حدث ؟

— أه ؟

— هل حدث هذا كما ذكر أكينفوف ؟

— معلوم ، حصل .

- طيب ، ولأى غرض فككت الصامولة ؟
 — أه ؟ .
 — دعك من «أهلك» هذه وأجب على السؤال :
 لأى غرض فككت الصامولة ؟
 يقول دينيس بصوت أبج وهو يتطلع الى السقف :
 — لو لم اكن بحاجة اليها ما فككتها .
 — وما حاجتك الى الصامولة ؟
 — الصامولة ؟ نحن نصنع منها ثقالات السانير . . .
 — ومن هؤلاء «نحن» ؟
 — نحن ، الناس . . . فلاحو الناحية يعنى .
 — اسمع يا أخانا ، لا تتظاهر بالغباء وتكلم بصراحة .
 كفاك كذبا بخصوص الثقالات !
 فيدملم دينيس وهو يطفرف بعينه :
 — أنا عمري ما كذبت ، فلماذا اكذب الآن . . .
 وهل يمكن يا صاحب السعادة ان تصيد بدون ثقالة ؟
 لو وضعت حشرة أو دودة فى السنارة فهل يمكن ان تغوص
 الى القاع بدون ثقالة ؟ — وضحك دينيس ضحكة قصيرة . —
 اكذب قال . . . وأى فائدة من الطعم اذا بقى طافيا على
 سطح الماء ؟ الفرخ والكراكى والبربوط دائما تعوم قرب القاع ،
 واذا عام شىء عند السطح فليس الا الشيليشيور وحتى هذا
 نادر . . . الشيليشيور لا يعيش فى نهرنا . . . هذه السمكة
 تحب الوسع . . .
 — ولماذا تحدثنى عن الشيليشيور ؟
 — أه ؟ طيب ، أصل حضرتك سألتنى ا السادة
 أيضا عندنا يصطادون بهذه الطريقة . حتى أصغر عيل لن

يصطاد بدون ثقالة . طبعاً الذى لا يفهم هو الذى سيصطاد
بدون ثقالة . العيب لا عتب عليه . . .

— اذن انت تعترف بأنك فككت هذه الصامولة
لكى تصنع منها ثقالة ؟

— مضبوط ! وهل لألعب بها !

— ولكنك تستطيع أن تستخدم للثقالة الرصاص ،
أو الرش . . أو أى مسمار . .

— الرصاص لن تجده ملقى على الطريق ، لازم
تشتريه ، والمسمار لا ينفع . ليس هناك أحسن من
الصامولة . . . فهي ثقيلة وبها خرم .

— كيف يتظاهر بالغباء ! كأنه ولد بالأمس أو هبط
من السماء . ألا تفهم أيها الأحمق الى أى شىء يؤدى
فك الصواميل ؟ لو لم يكشف الحارس ذلك لكان من
الممكن أن يخرج القطار عن القضبان ولمات الناس ! كنت
ستسبب فى قتل الناس !

— اعوذ بالله يا صاحب السعادة ! لماذا اقتلهم ؟
وهل نحن لا نعرف ربنا أم اننا اشرار ؟ الحمد لله يا صاحب
السعادة ، أنا عشت حياتى ولم اقتل احدا ولم أفكر حتى
فى ذلك . . يا ساتر يا رب ارحمنا . . كيف تقول ذلك !
— وما رأيك ، لماذا تقع حوادث انقلاب القطارات ؟

إذا فككت صامولتين أو ثلاثا وقع الحادث !
ويضحك دينيس ضحكة سخرية قصيرة ويزر عينيه
محدقا فى المحقق بارتياح .

— لا ! من سنين وكل أهل القرية يفكون الصواميل ،
وربنا سترها ، وحضرتك تقول : انقلاب القطارات ! . .

قتل الناس . . . لو أنى خلعت القضيبي ، أو وضعت مثلاً
جذع شجرة بعرض القضبان فيمكن ساعتها ينقلب القطار . . .
ولكن هذه مجرد صامولة ! شيء بسيط !
— الا نفهم ان الصواميل تثبت بها القضبان في
الفلنكات !

— نحن نفهم هذا . . . اتنا لا نفك كل الصواميل . .
نأخذ البعض ونترك الباقي . . . عندنا نظري . . فاهمين طبعاً . . .
ويتساب دينيس ويرسم علامة الصليب على فمه .
ويقول المحقق :
— في العام الماضي خرج قطار عن القضبان هنا . . .
مفهوم الآن لماذا . . .

— ماذا تقول حضرتك ؟
— أقول مفهوم الآن لماذا خرج قطار عن القضبان
في العام الماضي . . الآن فهمت أنا السبب !
— سعادتك من أهل العلم ولذلك تفهمون . . ربنا
أعلم لمن يعطى المفهومية . . أهو حضرتك عرفت وقدرت ،
لكن الحارس مثله مثل الفلاح ، ليس عنده أى مفهومية ،
يمسك الواحد من قفاه ويشده . . طيب الأول اعرف وبعدين
شد ! الفلاح فلاح ، ومخه فلاحى . . . اكتب أيضاً يا
صاحب السعادة ، انه ضربنى مرتين فى وجهى وفى صدرى .
— عند اجراء التفتيش وجد عندك صامولة أخرى . . .
فأين ومتى فككت هذه الصامولة ؟
— حضرتك تقصد الصامولة التى كانت تحت الصندوق
الأحمر ؟

— لا أعرف اين كانت هذه الصامولة ، لكنهم وجدوها

لديك . متى فككتها ؟

— أنا لم افككتها . اعطاني اياها ايجناشكا ، ابن
سيمون الاعور . أنا اقصد الصامولة التي تحت الصندوق ، اما
تلك التي في الزحافة ، في الحوش ، فككتها أنا ومتروفان .
— أي متروفان ؟

— متروفان بتروف . . . ألم تسمع عنه ؟ انه يصنع
الشباك ويبيعها للسادة . وهو يحتاج الى صواميل كثيرة مثل
هذه . كل شبكة تحتاج الى حوالي عشر صواميل . . .

— اسمع . . . المادة ١٠٨١ من قانون العقوبات تنص
على ان كل تخريب متعمد للسكك الحديدية يكون من
شأنه تعريض سلامة وسيلة النقل العامة بها للخطر ، وفي
حالة معرفة الجاني بالعواقب الوخيمة التي سيؤدي اليها فعله . .
فاهم ؟ ولا بد أنك تعرف الى اى شيء يؤدي فك
الصواميل . . . يعاقب مرتكبه بالنفى والأشغال الشاقة .
— طبعا حضرتك أدري . نحن ناس جهلة . . . وهل
نحن نفهم ؟

— انت فاهم كل شيء ! لكنك تكذب ، وتظاهر
بالغباء !

— ولماذا أكذب ؟ اسأل أهل القرية ان كنت لا
تصدقني . . . بدون الثقة لا يصطاد الا السمك الأبيض ،
وهل هناك اسوأ من القويون ، ومع ذلك فلا يمكن صيده
بدون الثقة .

فيتسم المحقق قائلا :

— أظنك ستحدثني الآن عن الشيليشيور .

— الشيليشيور لا يعيش في نواحيها . . . نرمي الخيط

بدون ثقافة على سطح الماء ، والطعم فراشة ، ونصطاد
الشبوط ، وحتى هذا نادر . .

— طيب ، اسكت . . .

ويسود الصمت . يقف دينيس متململا ، ويحلق
في الطاولة ذات المفروش من الجوخ الأخضر ويطرف بشدة
وكأنه لا يرى أمامه جوخا بل شمسا . والمحقق يدون بسرعة .
وبعد فترة صمت يسأل دينيس :

— هل انصرف ؟

— لا ، ينبغي أن أرسلك تحت الحراسة الى السجن .
يكف دينيس عن الطرف ، ويرفع حاجبيه الكثيفين ،
وينظر الى المحقق متسائلا :

— كيف الى السجن ؟ يا صاحب السعادة ! أنا
مستعجل ، لازم أروح للسوق . ولى عند يجور ثلاثة روبلات
نحن الشحم لازم استلمها .
— اسكت ، لا تشوش عليّ .

— الى السجن . . . لو كنت فعلت ما يستحق السجن
لذهبت ، ولكن هكذا . . بدون ذنب . . ماذا فعلت ؟
لم أسرق ، وأظن لم اتعارك . . أما اذا كنت تشك فيّ
بخصوص الدين ، فلا تصدق العمدة يا صاحب السعادة . . .
ارجوك اسأل السيد عضو اللجنة . . . العمدة لا يعرف ربنا . . .
— اسكت !

فيلمدم دينيس :

— أنا ساكت . . طيب أنا مستعد احلف اليمين ان
العمدة يغالط في الحساب . . نحن ثلاثة أخوة : كوزما
جريجوريف ، وبعدين يجور جريجوريف ، وأنا دينيس

جريجورييف . . .

— انت تشوش على...— وصيبح المحقق : — ياسميون !

خذه !

ويدمدم دينيس بينما يقتاده جنديان قومان خارج غرفة

التحقيق :

— نحن ثلاثة أخوة . . والأخ لا يحاسب على ذنب

أخيه . . . كوزما لا يدفع وأنا المسئول ! يا لكم من قضاة !

مات السيد الجنرال ، عليه الرحمة ، والا لأراكم الويل ،

ايها القضاة . . اذا حكمتم فلتحكموا بالعدل ، بالمفهومية . .

وليس هكذا بلا ذنب . . حتى لو حكمتم بالجلد فليكن . .

المهم بالحق ، بالأمانة . . .

١٨٨٥

وحشة ..

لمن اشكو حزني ؟ ..

غسق المساء . ندف الثلج الكبيرة الرطبة تدهر بكسل
حول مصابيح الشارع التي أضيئت لتوها ، وتترسب طبقة
رقيقة لينة على أسطح المنازل وظهور الخيل ، وعلى الأكتاف
والقبعات . والحوذى أيونا بوتابوف أبيض تماما كالشبح .
انحنى متقوسا بقدر ما يستطيع الجسد الحي أن يتقوس وهو
جالس على المقعد بلا حراك . ويبدو أنه لو سقط عليه
كوم كامل من الثلج فربما ما وجد ضرورة لنفسه . . . وفرسه
ايضا بيضاء ، تقف بلا حراك . وتبدو بوقفها الجامدة ،
وعدم تناسق بدننها ، وقوائمها المستقيمة كالعصي حتى عن
قرب أشبه بحصان الحلوى الرخيص . وهي على الأرجح
مستغرقة في التفكير . فمن انتزع من المحراث ، من المشاهد
الريفية المألوفة وألقى به هنا في هذه الدوامة المليئة بالاضواء
الخرافية ، والصخب المتواصل والناس الراكضين ، لا يمكن
الا أن يفكر . . .

لم يتحرك أيونا وفرسه من مكانهما منذ وقت طويل .
كانا قد خرجا من الدار قبل الغداء ولكنهما لم يستفتحا حتى
الآن . وها هو ظلام المساء يهبط على المدينة .. ويتراجع
شحوب اضواء المصابيح . مفسحا مكانه للالوان الحية ،

وتعلمو ضوضاء الشارع .

وسمع أيونا :

— يا حوذى ! الى فيورجسكايا ! يا حوذى !
يتنفض أيونا ، ويرى من خلال رموشه المكحلة بالثلج
رجلا عسكريا فى معطف بقلنسوة .

ويردد العسكرى :

— الى فيورجسكايا ، ماذا ، هل انت نائم ؟ الى
فيورجسكايا !

ويشد أيونا اللجام علامة الموافقة ، فتساقط اثر ذلك
طبقات الثلج من على ظهر القرس ومن على كتفيه . . . ويجلس
العسكرى فى الزحافة . ويطلق الحوذى بشفتيه ، ويمد
عقه كالبجعة ، وينهض قليلا ، ويلوح بالسوط بحكم العادة
اكثر مما هو بدافع الحاجة . وتمد القرس ايضا عنقها ،
وتوج سيقانها العسوية وتتحرك من مكانها بتردد . . .

وما أن يمضى أيونا بالزحافة حتى يسمع صيحات من
الحشد المظلم المتحرك جيئة وذهابا :

— الى أين تندفع أيها الاحمق ! أى شيطان القى
بك ؟ الزم يمينك !

ويقول العسكرى بانزعاج :

— انت لا تعرف كيف تسوق ! الزم يمينك !
ويسب حوذى عربة حنطور ، ويحذق بغضب أحد
المارة ، وكان يعبر الطريق فاصطلمت كتفه بعنق القرس ،
ويتنفض الثلج عن كفه . ويشملل أيونا فوق المقعد وكأنه
جالس على جمر ، ويضرب برفقيه فى كلا الجانبين ، ويبدو
بنظراته كالممنوس ، وكأنما لا يفهم أين هو ولماذا هو هنا .

ويسخر العسكري :

— يا لهم جميعا من أوغاد ! كلهم يسعون الى
الاصطدام بك او الوقوع تحت أرجل القرس . انهم متآمرون
ضدك .

يتطلع أيونا الى الراكب ويحرك شفثيه . . . يبدو أنه
يريد ان يقول شيئا ما ، ولكن لا يخرج من حلقه شيء
سوى الفحيح .
فيسأله العسكري :

— ماذا ؟

يلوى أيونا فمه بابتسامة ويوتر حنجرتة ويفتح :
— أنا يا سيدى . . . هذا الاسبوع يعنى . . ابنى مات .
— إم ! . . ومم مات اذن ؟

يستدير أيونا بجسده كله نحو الراكب ويقول :
— ومن يدري ؟ الظاهر من الحمى . . . لقد فى المستشفى
ثلاثة ايام ومات . . . مشيئة الله .
ويتردد فى الظلام :

— حاسب يا ملعون ! هل عميت ايها الكلب العجيز ؟
افتح عينيك !
ويقول الراكب :

— هيا ، هيا سر . . . بهذه الطريقة لن نصل ولا
غدا . عجل !

وبعد الحوذى عنقه من جديد ، وينهض قليلا ويلوح
بالسوط بحركة رشيقة متناظرة . وبلغت الى الراكب عدة
مرات ، ولكن الأخير كان قد اغمض عينيه ويبدو غير
راغب فى الانصات . وبعد ان يتزله فى فيبورجسكايا يتوقف

عند احدى الحانات ، وينحنى متقوسا وهو جالس على مقعد الحوضى ، ويجمد بلا حراك مرة أخرى . . . ومن جديد يصبغه الثلج الرطب هو وفرسه باللون الابيض . وتمر ساعة ، وأخرى . . .

على الرصيف يسير ثلاثة شبان وهم يقرعون بأحذيتهم فى صخب ويتبادلون السباب . اثنان منهم طويلان نحيفان ، والثالث قصير أحمب .

ويصبح الأحذب بصوت مرتعش :

— يا حوضى ، الى جسر الشرطة ! ثلاثة ركاب . .
بعشرين كويكا !

يشد أيونا اللجام ويطفلق بشفتيه . ليست العشرون كويكا بسعر مناسب ، ولكنه فى شغل عن السعر . . . فسواء لديه روبل ام خمسة كويكات . . . المهم أن يكون هناك ركاب . . . يقترب الشبان من الزحافة وهم يتدافعون بألفاظ نائية ، ويرتمى ثلاثتهم على المقاعد دفعة واحدة . وتبدأ مناقشة قضية : من الاثنان اللذان سيجلسان ، ومن الثالث الذى سيقف ؟ وبعد سباب طويل ونزق وعتاب يصلون الى حل : الأحذب هو الذى ينبغي أن يقف باعتباره الأصغر . فيقول الأحذب بصوته المرتعش وهو يثبت اقدامه ويتنفس

فى قفا ايونا :

— هيا عجل ! اضربها بالسوط ! يا لها من قبة لديك يا أخى ! لن تجد فى بطرسبرج كلها اسوأ منها . . .
فيقهقه ايونا :

— هـى-هـى-هـى . . . هـى-هـى . هذا هو الموجود . . .

— اسمع انت ، ايها الموجود ، عجل ! هل ستسير

هكذا طول الطريق ؟ نعم ؟ الا تريد صفقة على قفالك ؟ ..
ويقول أحد الطويلين :

— رأسى يكاد يتفجر... بالأمس شربت أنا وفاسكا
عند آل دوكماسوف أربع زجاجات كونيكا نحن الاثنين .
ويقول الطويل الآخر بغضب :

— لا أدري ما الداعي للكذب ! يكذب كالحيوان .

— عليّ اللعنة ان لم يكن حقيقة ...

— انها حقيقة مثلما هي حقيقة أن القملة تسمل .
فيضحك أيونا :

— هيء هيء .. سادة ظرفاء !

ويقول الأحذب بسخط :

— فلتخطفك الشياطين ! هل ستعجل ايها الوياء
المجوز ام لا ؟ هل هذا سير ؟ ناولها بالسوط ! هيا ايها
الشیطان ! هيا ! ناولها جيداً !

ويحس أيونا خلف ظهره بجسد الأحذب المتململ
ورعشة صوته . ويسمع السباب الموجه اليه ، ويرى الناس
فيبدأ الشعور بالوحدة يتراح عن صدره شيئاً فشيئاً . وبظل
الأحذب يسب حتى يغص بسباب متقى فاحش وينفجر
في السعال . ويشرع الطويلان في الحديث عن تدعى
ناديجدا بتروفتا . ويتطلع أيونا نحوهم . ويشتهز فرصة الصمت
فيتطلع نحوهم ثانية ويلعلم :

— أصل أنا .. هذا الأسبوع يعني .. ابني مات !

فيتهدد الأحذب وهو يمسح شفتيه بعد السعال :

— كلنا سنموت ... هيا عجّل ، عجّل ! يا سادة ،
أنا لا يمكن أن أمضى بهذه الطريقة ! متى سيوصلنا ؟

— حسنا ، فلتشجعه قليلا . . . في قفاه !
— هل سمعت ايها الرباء العجيز ؟ سأكرس لك عتقك !
التلطف مع جماعتكم معناه السير على الأقدام . . . هل
تسمع ايها الثعبان الشرير ؟ ام انك تبصق على كلماتنا ؟
وسمع أيونا أكثر مما يحس بصوت الصفعة على قفاه .
فيضحك :

— هي—هيء . . . سادة ظرفاء . . . رينا يعطيكم الصحة !
ويسأل أحد الطويلين :

— يا حوذى ، هل أنت متزوج ؟
— أنا ؟ هيء—هيء . . . سادة ظرفاء ! لم يعد لدي
الآن الا زوجة واحدة : الارض الرطبة . . هيء—هوء—هوء . . .
القبر يعنى ! . . ها هو ابني قد مات وأنا أعيش . . . حاجة
غريبة ، الموت غلط في الباب . . . بدلا من أن يأتيني
ذهب الى ابني . . .

ويلتفت ايونا لكي يروى كيف مات ابنه ، ولكن
الأحذب يتنهّد بارتياح ويعلن انهم اخيرا ، والحمد لله ،
وصلوا . ويحصل ايونا على العشرين كوبيكا ويظل ينظر
طويلا في أثر العابئين وهم يختفون في ظلام المدخل .
وها هو وحيد ثانية ، ومن جديد يشمله السكون . . . والوحشة
التي هذأت قليلا تعود تطبق على صدره بأقوى مما كان .
وتدور عينا ايونا بقلتي وعذاب على الجموع المهرولة على جانبي
الشارع : ألن يجد في هذه الآلاف واحدا يصنى اليه ؟
ولكن الجموع تسرع دون أن تلاحظه أو تلاحظ وحشته . . .
وحشة هائلة ، لا حدود لها . لو أن صدر ايونا انفجر ،
وسالت منه الوحشة فربما اغرقت الدنيا كلها ، ومع ذلك

لا أحد يراها . لقد استطاعت أن تختبئ في صدفة
ضئيلة فلن ترى حتى في وضوح النهار . . .
ويلمح أيونا بوابا يحمل قرطاسا فينوي ان يتحدث اليه .
ويسأله :

— كم الساعة الآن يا ولدي ؟

— التاسعة . . . لماذا تقف هنا ؟ امش !

يتحرك أيونا عدة أمتار ، ثم ينحن متقوسا ، ويستسلم
للوحشة . . . ويرى انه لا فائدة بعد من مخاطبة الناس .
ولكن ما ان تمر بضع دقائق حتى يعتدل ، وينفض رأسه
كأنما أحس بوخزة ألم حادة ، ويشد اللجام . . . لم يعد
قادرا على التحمل .

ويقول لنفسه : «الي البيت ! الي البيت !»
وكانما فهمت الفرس أفكاره فتبدأ في الركض بخبيب .
وبعد حوالي ساعة ونصف يكون أيونا جالسا بجوار فرن كبير
قذر . وفوق الفرن ، وعلى الارض ، وعلى الأرائك يتمدد
اناس يشخرون . والجو مكتوم خائق . . . يتطلع أيونا الى
النائمين ويحك جلده ويأسف لعودته المبكرة الى البيت . . .
ويقول لنفسه : «لم أكسب حتى حق الشعر . . . ولهذا
أشعر بالوحشة . الرجل الذي يعرف عمله . . الذي هو نفسه
شبعان وفرسه شبعي ، هو دائما مطمئن البال . . .»
في احدى الزوايا ينهض حوزى شاب ، ويزحر بصوت
ناعس ، ويمد يديه الى الدلو .

فسأله أيونا :

— أردت ان تشرب ؟

— كما ترى !

— طيب .. بالهنا والشفاء .. أما انا يا أخى فقد مات
ابنى .. هل سمعت ؟ هذا الاسبوع ، فى المستشفى ...
حكايه !

ويتطلع ايونا ليرى اى تأثير تركته كلماته ، ولكنه
لا يرى شيئا . فقد تغطى الحوذى الشاب حتى رأسه وغط
فى النوم . ويتنهد العجوز ويحك جلده ... فمثلا رغب
المحوذى الشاب فى الشرب يرغب هو فى الحديث . عما
قريب يمر اسبوع منذ أن مات ابنه ، بينما لم يتمكن
حتى الآن من الحديث عن ذلك مع أحد كما يجب ...
ضرورى ان يتحدث بوضوح ، على مهل ... ينبغي أن يروى
كيف مرض ابنه ، وكيف تعذب ، وماذا قال قبل وفاته ،
وكيف مات ... ينبغي أن يصف جنازته وذهابه الى المستشفى
ليتسلم ثياب المرحوم . وفى القرية بقيت ابنته أنيسا ...
ينبغي أن يتحدث عنها ايضا ... وعموما ، فما أكثر ما
يستطيع أن يرويه الآن ! ولا بد أن يتأوه السامع ويتنهد ،
ويرثى ... والأفضل ان يتحدث مع النساء . فهؤلاء وان
كنَّ حمقاوات ، يعولن من كلمتين .

ويقول ايونا لنفسه : «فلأذهب لأتفقد القرم ...
أما النوم فبعدين .. سأشبع نوما ..»

يرتدى ملابسه ويذهب الى الاصطبل حيث تقف فرسه .
ويسفكر فى الشعر ، والدريس والجو ... فعندما يكون وحده
لا يستطيع ان يفكر فى ابنه ... يستطيع ان يتحدث عنه
مع أحد ما ، أما ان يفكر فيه ويرسم نفسه صورته فشيء
رهيب لا يطاق ...

ويسأل ايونا فرسه عندما يرى عينيها البراقتين :

— تمضغين ؟ حسنا ، امضغى ، امضغى . . . ما
 دمنا لم نكسب حق الشعر فسأكل الدريس . . . نعم . .
 أنا كبرت على السياقة . . . كان المفروض أن يسوق ابنى
 لا أنا . . . كان حوذا أصيلا . . . لو أنه فقط عاش . . .
 وبعثت ابوتنا بعض الوقت ثم يواصل :
 — هكذا بلا أخى الفرس . . لم يعد كوزما ايونيتش
 موجودا . . . رحل عنا . . . فجأة مات ، خسارة . . فلنفرض
 مثلا ان عندك مهرا ، وأنت أم لهذا المهر . . ولنفرض ان
 هذا المهر رحل فجأة . . . أليس مؤسفا ؟
 وتمضغ الفرس وتنصت وتزفر على يدى صاحبها . .
 ويندمج ايونا فيحكى لها كل شيء . . .

المُلقن

ذات صباح رائع جرى دفن المساعد الاعتبارى كيريل
ايفانوفتش فافيلونوف ، الذى توفى من جراء مرضين جد
منتشرين فى بلادنا : الزوجة الشريرة ، وادمان الخمر .
وعندما تحرك موكب الجنازة من الكنيسة الى المقابر ، استقل
أحد زملاء المتوفى ، المدعو بولافسكى ، عربة وانطلق
الى صديقه جريجورى بتروفتش زابويكين ، وهو رجل شاب
ولكنه مشهور الى حد كبير . وزابويكين ، كما يعرف كثير
من القراء ، رجل ذو موهبة نادرة فى ارتجال خطب الزفاف
والمناسبات البيولية والتأيين . ويوسعه ان يخطب فى أى
وقت : اثر الاستيقاظ مباشرة ، وعلى الريق ، وفى حالة
السكر القطيع ، وأثناء الحمى . وينساب كلامه ناعما ،
سلسا كما يسيل الماء من ميزاب ، وغزيرا . وفى قاموسه
الخطابى من كلمات الرثاء أكثر مما فى أية حانة من صراصير.
وخطبه دائما فصيحة ، طويلة حتى انهم احيانا ، وخاصة
فى أعراس التجار ، يضطرون للجوء الى الشرطة لايقافه عن
الكلام .

وقال بولافسكى عندما وجده فى البيت :
— اننى اقصدك يا أخى ! البس بسرعة وهيا بنا .

لقد توفي أحد زملائنا ، والآن نشيعة الى العالم الآخر ،
ومطلوب يا أخي ان تقول في وداعه بعض الهراء . . . الأمل
كله فيك . لو كان المتوفى من صغار الموظفين لما أزعجناك ،
ولكنه سكرتير . . . يعني من أعمدة الادارة . ومن غير اللائق
أن ندفن هذا الرأس الكبير بدون خطبة .
فقال زابويكين متثابا :

— آه ، السكرتير ! أهو ذلك السكير ؟
— نعم ، السكير . ستكون هناك شطائر ومزات . . .
وستمنح أجرة العربة . هيا يا عزيزي ! فلتلق على قبره
خطبة عصماء أفصح من خطب شيشرون ، وستلقى كل
الشكر !

وافق زابويكين عن طيب خاطر . نكش شعره ،
وأضفى على وجهه سيماء الكآبة وخرج مع بوبلافسكى .
وقال وهما يجلسان في العربة :
— أعرف سكرتيركم هذا . قل أن تجد أفاقا وشيطانا
مثله ، عليه الرحمة .

— لا يصح يا جريشا أن تشتم الموتى .
— أنت محق ، طبعاً aut mortuis nihil bene*
ولكنه مع ذلك محتال .

لحق الصديقان بركب الجنازة وانضمما اليه . وكانوا

* تعبير محرف عن اللاتينية ومعناه هنا ولا يذكر الموتى
الا بسوء وأصله في اللاتينية de mortuis aut bene aut nihil
ومعناه وأما ان تذكر الموتى بالحسنى او لا تذكرهم بشيء . العرب .

يحملون المتوفى ويسرون به يبطء فتمكن الصديقان قبل بلوغ المقابر من أن يعرجا ثلاث مرات على الحانات وشربا في ذكرى المرحوم .

واقامت صلاة الميت في المقابر . وجريا على العادة بكّت زوجته وأختها وحماته كثيرا . وعندما انزل التابوت الى القبر صاحت زوجته «ادفوني معه !» لكنها لم تنزل الى القبر وراء زوجها ربما لأنها تذكرت المعاش . وانتظر زابويكين حتى عمّ الهدوء ، ثم تقدم الى الأمام ، وطاف على الحاضرين بنظراته ، وقال :

— هل تصدق سمعنا وأبصارنا ؟ أليس حلما رهيا هذا التابوت وهذه الأوجه الباكية ، وهذا الأنين والنحيب ؟ يا للحسرة ، هذا ليس حلما ، وأبصارنا لا تخدعنا ! ان ذلك الذى رأيناه منذ وقت قريب مكتمل الصحة ، فى أوج شبابه وبهائه ونضارته ، ذلك الذى رأيناه منذ وقت قريب يضع ، كالنحلة ، عسله فى الخلية العامة لبناء الدولة ، ذلك الذى ... هو بعينه أصبح الآن ترابا ، أصبح سرايا ماديا . لقد أطبقت عليه قبضة الموت الذى لا يرحم عندما كان ، رغم عمره المتأخر ، مفعما بالقوة المتأججة والأحلام المشرقة . فيالها من خسارة لا تعوض ! من ذا الذى يعوضنا عنه ؟ لدينا الكثير من الموظفين الممتازين ، ولكن بروكوفى أوسيوفتش كان الوحيد بينهم . لقد كان مخلصا من صميم قلبه لواجبه الشريف ، ولم يرحم نفسه ، لم ينم الليل ، وكان مثلا للتغافى والتزاهة ... كم كان يحقر اولئك الذين يحاولون رشوته على حساب المصلحة العامة ، اولئك الذين حاولوا بخيرات الحياة المرفية دفعه الى خيانة

واجبه ! نعم ، لقد رأينا بأعيننا كيف كان بروكوفى أوسيوفتش يوزع راتبه الصغير على رفاقه المعوزين ، وها قد سمعتم الآن عويل الأرامل واليتامى الذين كانوا يعيشون على حسناته . لقد كان مخلصا لواجبه الوظيفى ولأعمال الخير فلم يندق ملذات الدنيا ، بل حرم نفسه حتى من سعادة الحياة العائلية . فأنتم تعرفون انه ظل عازبا حتى آخر ايام عمره ! ومن ذا الذى يعرضنا عنه رفيقا ؟ كأنى أرى الآن وجهه الحليق البشوش الذى يهل علينا بابتسامة طيبة ، وكأنى أسمع الآن صوته الناعم الودود الرقيق . طيب الله ثراك يا بروكوفى أوسيوفتش ! فلتنعم بالسكينة أيها الكادح الشريف النبيل ! ومضى زاويكين يخطب بينما أخذ المستمعون يتوششون .

أعجب الجميع بالخطبة ، التى استلزت بعض الدموع... ولكن الكثير فيها بدا لهم غريبا . فأولا : لم يكن مفهوما لماذا دعا الخطيب المرحوم باسم بروكوفى أوسيوفتش بينما كان اسمه كيريل ايفانوفتش . وثانيا : كان الجميع يعرفون ان المرحوم ظل طوال حياته يصارع زوجته الشرعية ، وبالتالي فلا يمكن ان يكون عازبا . وثالثا : فقد كانت لديه لحيه غزيرة حمراء ، ولم يحلق ذقنه قط ، ولذا فلم يكن مفهوما لماذا وصف الخطيب وجهه بالحليق . أبدى السامعون استغرابهم وتبادلوا النظرات ، وهزوا أكافهم .

ومضى الخطيب يقول بحماس وهو ينظر فى القبر :

— يا بروكوفى أوسيوفتش ! لم يكن وجهك جميلا ،

بل حتى كان قبيحا ، متجهما صارما ، ولكننا كنا نعرف

جميعا ان هناك ، تحت هذه القشرة الظاهرة ، ينبض

قلب شريف ودود !

وسرعان ما بدأ السامعون يلاحظون شيئا غريبا على الخطيب نفسه . فقد ثبت بصره على نقطة واحدة ، ثم أخذ يشملل بقلق ، وراح يهز كتفيه . وفجأة صمت ، وفغر فاه بدهشة ، والتفت الى بويلافسكى .

وقال وهو ينظر برعب :

— اسمع ، انه حى !

— من الحى ؟

— بروكوفى أوسيوفتش ! ها هو يقف هناك بجوار

التمثال !

— انه لم يمت أصلا ! كيريل ايفانيتش هو الذى

مات !

— ألم تقل لى أن سكرتيركم مات ؟

— كيريل ايفانيتش كان سكرتيرا . يا لك من مضحك ،

لقد خلطت الأمور ! صحيح أن بروكوفى أوسيوفتش كان سكرتيرا ولكنه نقل منذ عامين الى القسم الثانى رئيس قلم .

— آه ، الشيطان وحده يفهمكم !

— وما لك توقفت ، أكمل ، لا تخرجنا !

والتفت زابويكين نحو القبر وواصل حديثه المنقطع بنفس

البلاغة السابقة . وبالفعل كان بروكوفى أوسيوفتش ، وهو موظف عجز ، بوجه حليق ، يقف بجوار التمثال . وكان يتطلع الى الخطيب وقد قطب حاجبيه بغضب .

وضحك الموظفون اثناء عودتهم من المقابر مع زابويكين :

— ما الذى دهاك ؟ تدفن شخصا حيا !

ودمدم بروكوفى أوسيوفتش :

— عيب عليك ايها الشاب ! ربما كانت خطبتك

مناسبة للمرحوم ، ولكنها محض سخرية بالنسبة لشخص
حي ! ما هذا الذي قلته ؟ متفان ، نزيه ، لا يقبض
رشاوى ! هذا الكلام عن شخص حي ليس الا سخرية !
كما ان احدا لم يطلب منك يا سيدى أن تفيض في
وصف وجهى . غير جميل ، قبيح ، فليكن ، ولكن ما
الداعى لعرض وجهى فرجة امام الجميع ؟ هذا مهين !

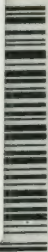
١٨٨٦

الفهرس

فرجة.....	٣
المغفلة.....	٧
وفاة موظف.....	١١
دموع لا يراها العالم.....	١٧
الحرباء.....	٢٥
القناع.....	٣١
مع سبق الإصرار.....	٣٩
وحشة.....	٤٧
الخطيب.....	٥٧

شركة الأمل للطباعة والنشر
(مورافيتلس سابقاً)

01.733
5158q



0544965